محكم

أنوار العقول ونيران العقائد:

قراءة في ظاهرة حرق الكتب وإتلافها

عبد اللّه البهلول

باحث تونسي

قسم الدراسات الدينية

جميع الحقوق محفوظة
مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث
All rights reserved
Mominoun Without Borders

الملخّص:

ظاهرة حرق الكتب وإتلافها ظاهرة متعدّدة الدّوافع والأسباب، غير مختصّة بحضارة من الحضارات ولا بأمّة من الأمم غير أنّ استقراء مجمل ما حصل من وقائع تاريخيّة يكشف عن تورّط العقائد والأديان، إذ كان لها نصيب وافر من المسؤوليّة وتأثير كبير في إيقاد معظم تلك النيران، ويكشف أيضا عن توجيه أصابع الاتهام إلى الحضارة العربيّة الإسلاميّة برفض الآخر المختلف رأيا وإقصائه، وذلك على ما حقّقته من مكاسب في مجال المعارف والعلوم.

ويركّز البحث على هذه الظاهرة من جهة ما ينشأ بين العقائد والعقول من وجوه التعارض والاعتراض المفضية إلى الحرق والإتلاف، وانطلاقاً من السؤال عمّا إذا كانت ظاهرة إتلاف الكتب موصولة بموضوعات القول المطروقة في تلك الكتب أو بطرائق التفكير المعتمدة فيها وما يترتّب عليها من نتائج.

مدخل:

في التراث العربي والإنساني وقائع مروية وأخبار مثيرة عن ظاهرة إتلاف الكتب والمكتبات حرقا ومحوا ودفنا وتمزيقا، وهي ظاهرة رافقت فعل الكتابة قديماً ولا تزال اليوم ترافقه، تتمّ بصورة فرديّة مثلما تحصل بصورة جماعية، وتنشأ زمن السّلم وزمن الحرب على حدّ سواء، وتُنجز في طقوس احتفالية ومحافل جنائزية، وبطريقة قصدية أو غير قصديّة، وتشرف عليها السلطة الرسمية السائدة مثلما تحصل نتيجة قرار ذوات غريبة معزولة ومجموعات هامشية متمردة.

ولهذا الفعل التدميري أسباب ودوافع عديدة يمكن استصفاؤها من المصنّفات التي تناولت هذا الموضوع أو عرضت له. ومن أهمّها في نظرنا مصنّفان نعتمدهما مدوّنة نستقي منها الشواهد التاريخية. **أولهما لناصر** الحزيمي، **إحراق الكتب في التّراث العربيّ**،[1] وهو مسرد تاريخي في نحو مائة وتسع وثلاثين صفحة، جمع فيه صاحبه بعض أخبار إتلاف الكتب في التّراث العربي: ما قامت به السلطة تنكيلاً، وما أقدم عليه المؤلفون أنفسهم احتجاجا أو يأسا... ولم يتناول الإتلاف الحاصل بسبب الحروب والقلاقل والتّلف بسبب الحوادث والكوارث. وقد أشار المؤلّف إلى أنّه عزف عن ذلك لإبراز السّبب القصديّ وراء إتلاف الكتب. وجعل أسباب إتلاف الكتب ستّة: شرعيّة، وعلميّة، وسياسيّة، واجتماعيّة وقبليّة، ونفسيّة، وتعصّبيّة. أمّا المصنّف الثّاني، فللكاتب الفرنسي المتخصّص في تاريخ الورق والمكتبات لوسيان بولاسترون LUCIEN POLASTRON **كتب تحترق تاريخ تدمير المكتبات**[2] *Livres en feu Histoire de la destruction sans fin des bibliothèques.* تضمّن الكتاب المترجم مقدّمة أبدت فيها دار النّشر وجهة نظرها الثقافيّة والحضاريّة في مسألة مثيرة في الكتاب "حرق عمرو بن العاص مكتبة الاسكندريّة بأمر من الخليفة عمر بن الخطّاب"، وقد نهض بهذا الردّ النّقديّ الأستاذ حمادي بن جاء بالله. ويكتسب هذا الكتاب قيمتين مزدوجتين على الأقلّ، تتمثّل أولاهما في طرق موضوع بكر لم تُخصّص له من قبل بحوث ودراسات بالعمق نفسه، وتبرز ثانيتهما في توسيع المبحث في الزّمان والمكان ليغدو موسوعة شاملة لتاريخ المكتبات منذ الأزمان الغابرة إلى تاريخ اليوم في عصرنا الرقمي تشهد بذلك فصوله الثلاثة عشر المخصّصة لجميع الحضارات من مختلف القارات، قديمها وحديثها، وشرقيّها وغربيّها.

[1]- ناصر الحزيمي، **إحراق الكتب في التّراث العربيّ**، مسرد تاريخي، منشورات الجمل كولونيا ألمانيا، الطبعة الأولى، 2003

[2]- صدر هذا الكتاب في لغته الأصلية (الفرنسية) سنة 2004 في 432 صفحة عن دار Denoël في سلسلة Médiations ونقله إلى اللّغة العربيّة هاشم صالح ومحمد مخلوف بمراجعة عبد الودود العمراني، وصدر عن وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، قسم الترجمة، إدارة البحوث والدّراسات الثقافيّة. الطبعة العربيّة الأولى 2010 في نشر وتوزيع لدار محمد علي للنشر، صفاقس تونس.

والنّاظر في هذين المصنّفين، ينتهي إلى أنّ فعل الإتلاف دالّ له في التّاريخ أكثر من مدلول وأنّه ليس مختصّا بحضارة من الحضارات ولا بأمّة من الأمم؛ فهي في الحكم على الكتب بالنّار سواء، وإن تفاوتت في عدد الجرائم منازلها. ولئن كانت دوافع حرق الكتب وإتلافها متنوعة بتنوع مقامات الفعل مختلفة باختلاف الأسباب الباعثة عليه والغايات المرجوّة منه، فإنّ استقراء مجمل ما حصل من وقائع يكشف عن تورّط العقائد والأديان إذ كان لها نصيب وافر من المسؤوليّة وتأثير كبير في إيقاد تلك النيران وتأجيجها لتتلف في دقائق ولحظات فكرا أو عصارة فكر أو خلاصة ما ألّفته العقول في فترات.

والباحث في هذا الموضوع طرف معنيّ بالصراع لا يفتأ يتساءل عن موقف حضارته وثقافته من الكتب المغضوب عليها وعمّا إذا كانت الحضارة التي ينتمي إليها تسلك في الاعتراض على تلك الكتب مسلك الإقناع بالحجج العقليّة أم مسلك الرفض والإقصاء بمحو معالمها وجعلها طعما للنيران.

وإذا ما تساءلنا عن موقف الحضارة العربيّة الإسلاميّة من هذا الفعل الشنيع وجدنا أصابع الاتهام موجّهة إليها منكرة عليها رفض الرأي الآخر والتنكيل بالمفكرين. وهي تُهم لا تستوجب في الدّفاع عنها رجلا عنيدا ينصر أخاه ظالما أو مظلوما بل تقتضي مفكرا واعيا صريحا قاسيا على النفس يرصد مظاهر الخطأ والتقصير بدقة ويتعقّل الأخبار العديدة والقصص المثيرة التي رافقت أفعال الحرق والإتلاف وأرّختها ليعيد النّظر في تلك التّهم التي تداولتها كتب الرّواة والمؤرخين وأضحت لطرافتها أو لتواترها وكثرة جريانها على اللسان بمنزلة الحقائق التي لا يرقى إليها الشكّ أو الوقائع التي لا يتسلّل إليها إلا لماما.

بناء على عشرات الشواهد – بل مئات الشواهد- التي كانت فيها العقائد سببا مباشرا في تدمير المكتبات وإتلاف الكتب، نوجّه البحث في هذه الظّاهرة انطلاقا ممّا ينشأ بين العقل والعقيدة من تعارض يكون باعثا على الإقصاء والرفض مفضيا إلى الحرق والإتلاف، متسائلين عمّا إذا كانت المسألة موصولة بموضوعات القول المطروقة في تلك الكتب أو بطرائق التفكير المعتمدة فيها وما يترتّب عليها من نتائج.

1- اعتراض الدّين على العقل:

لعقائد الإنسان وطقوسه تأثير في إتلاف الكتب دفنا أو حرقا. يحصل ذلك إخلاصا في التعبّد واجتهادا في الاعتقاد ونسجا على منوال قدماء المصريين في قبرهم الكنوز مع أصحابها الراحلين وكيف تذهب إلى العدم كتب ومخطوطات يمضي فيها صاحبها معظم حياته في جمعها وتحصيلها وبذل الحيلة أحيانا لامتلاكها. لذلك لم تنج كتب عقلية عديدة من ألسنة النّيران لأسباب موصولة بالزّهد والنّسك والتصوّف. وما أكثر ما جنت العقائد والأديان على العقول محاصرةً ومحاكمةً وانتقاما وتشفيا وتسليطا للعوامّ على الكرام، ولبؤساء الفكر على ذوي العقول المتينة الخصبة والشرفاء. تذكر كتب التاريخ حادثة مشهورة وقعت في بداية القرن الخامس ميلاديّا لعالمة الجبر «هيباتي» ابنة علم الفلك والرياضيات «تيون» المرأة الوحيدة في تاريخ الرياضيات الاغريقية، في عهد البطريرك «سيريلوس» فقد أخذ يحرّض عامّة الشّعب ضدّ كلّ من يعتبرهم أعداء المسيحية وأمر برجم هذه الفيلسوفة العالمة التي لم تكن مسيحية. فكان أن هاجمتها العامّة وسحبتها إلى داخل الكنيسة مجرّدة إيّاها من ثيابها ثمّ راحت تقطّع لحمها بصدف المحار وتلقيها طعمة للنيران هي وجميع كتبها. وبهذا التّنكيل رفعت الكنيسة سيريلوس إلى مرتبة القديس.[3]

من ضرر العقائد أنّ الكتب تُتلف قبل تأليفها وتتعطّل نشأتها بل تُجهض فلا تولد. يحصل ذلك عندما يؤثر الإنسان اللّسان على القلم ويفضّل حفظ الصّدور على خطّ السّطور. نتبيّن هذا في ما ذكرته بعض كتب التّاريخ من أحاديث وأخبار تُمجّد العلم محفوظا في الصّدور جاريا على اللّسان من العلم مقيّدا في الكتب ومخطوطا في الدّواوين. من ذلك ما ذكره ناصر الحزيمي في مؤلّفه عن إحراق الكتب في التّراث العربيّ، من قبيل قول ابن عبّاس « إنّا لانكتب العلم ونُكتبه» وقوله - في معرض النّهي عن كتابة العلم - «إنّما ضلّ من كان قبلكم بالكتب».[4] ولم يستبعد المؤلّف تشجيع بعض الصّحابة على إتلاف الكتب إلاّ كتاب الله وحثّوا عل ذلك وشجّعوه.[5] ويذكر يحي بن جعدة في هذا السّياق أنّ عمر بن الخطّاب أراد أن يكتب السنّة، ثمّ بدا له أن لا يكتبها، ثمّ كتب في الأمصار: «من كان عنده شيء فليمحه»[6] ويورد قولا لعلي بن أبي طالب نقله عبدالله بن يسار، وفيه يطلب

---

[3]- لوسيان بولاسترون، **كتب تحترق**، ص 57

[4]- ناصر الحزيمي، **إحراق الكتب في التراث العربي**، ص 11

[5]- **المرجع نفسه**، ص 13

[6]- **المرجع نفسه** والصّفحة نفسها.

إلى كلّ من كان عنده كتاب أن يمحوه محتجّا بأنّه « إنما هلك النّاس حيث تتبعوا أحاديث علمائهم وتركوا كتاب ربّهم».[7]

والرأي السائد أنّ العلوم العقليّة لم تكن في أغلب الأحيان محلّ تقدير باعث على التّقديم والتّفويق، لاسيّما في الحضارات التي تؤثر النصّ وتقدّمه وتغلق أبواب الاجتهاد وتوصدها وترتفع فيها نسبة الإيمان والتسليم، بل كثيرا ما نُظر إلى تلك العلوم نظرة توجّس وارتياب سرعان ما انتهت إلى رغبة صريحة في التّدمير والاستئصال. وهي رغبة تجسّدت في حوادث تاريخيّة مشهورة ومواقف عمليّة عديدة فكانت نارا التهمت الكتب أذكاها الفقهاء بتعصّبهم وانغلاقهم وأجّجتها العامّة بجهلها وأرهجها الخلفاء والملوك غباءً وسوءَ تدبيرٍ. والشواهد على ذلك كثيرة ترسم معادلة جديدة يوصل فيها العقل بالعقاب والتفكير بالتكفير. والشواهد على ذلك عديدة لعلّ أهمّها ما حصل لابن رشد وللفيلسوف الأندلسي ابن مسرّة عندما سما بالتفكير الفلسفي إلى منزلة النبوة ورآه قادرا على خلاص الأرواح في الآخرة أو عندما رأى القرآن ليس لازما بشكل قطعيّ. ويعلّق بولاسترون على هذا الاعتقاد بقوله إنّ هذا النّحو من التفكير، في بلد يحكمه الإسلام، كفيل بتكفير صاحبه واتهامه بالزندقة وإخراجه من أمّة المسلمين، بل وذبحه عشرات المرّات. ولذلك قضّى الفيلسوف حياته مختفيا عن الأنظار، في عيش الزّاهدين، وفي حياة سريّة أتاحت له الاحتفاظ لما في نفسه من المعارف.[8]

وقد ترتّب على هذا المسلك في التّفكير إقصاء الآخر ومهاجمته والتّفتيش عنه تفتيشا منظما في مجموعات أُعدّت للغرض تُعرف باسم «الميلشيات الدينيّة» أو «الحرّاس الأشدّاء للعقيدة القويمة». وإلى هذه المجموعات انتمى عدد كبير من الفقهاء ممّن زيّنوا للحكّام إقامة محاكم تفتيش وجابوا المدن بحثا عن «الكتب المشبوهة» لحرقها على عيون الملأ في احتفال بهيج تطرب له العامّة التي كانت تجد ذروة المتعة في رؤية كتب الفلسفة والمنطق وعلم التّنجيم وغيرها من كتب اليونان والحضارات القديمة تلتهمها النّيران. كان ذلك يحصل في الجناح الشرقي من المسجد الكبير لقرطبة، على رؤوس الأشهاد، بعد إجبار الملاحقين على التراجع علنيا عن أفكارهم وحرق مؤلفات الفيلسوف الذي يحبونه والتي كانت في حوزتهم. هكذا يعدم الفقهاء، دون اختيار دقيق، علوم الأوائل والمحدثين لا يستبقون منها غير علم المعاجم وعلم النحو.[9] تذكر كتب الأخبار أنّ القائمين بالفعل المنتمين إلى محاكم التفتيش لم يقرؤوا الكتب المغضوب عليها التي أعدموها ولم يتجاوزا في أحسن الحالات قراءة العناوين، لذلك كانت الكتب الناجية من النّار هي الكتب التي صاغ الكتاب والعلماء عناوينها على نحو لا

[7]- **المرجع نفسه** والصّفحة نفسها.

[8]- **كتب تحترق**، ص 109

[9]- **المرجع نفسه**، ص 107

ينطق بمكنونها. ولهذا السّبب وضع ابن سينا كتاب **الشفاء** عنوانا لشرحه المنطق الأرسطيّ. أمّا العامّة الدهماء فكانت تؤثّث المحافل وتجتمع في بهو المساجد والساحات العامّة لتشهد الحرق والإتلاف متفاعلة معبّرة عن فرحتها بالتهليل والتكبير. وفي ظنّها أنّ محو كتب العقل والمنطق مظهر من مظاهر الإخلاص في الطاعة والاجتهاد في الاعتقاد.

ولا يُستبعد أن تكون مواجهة الكتب العقليّة بهذا النحو من الفعل مصدر شبهات تجوّز تصديق عديد الاتهامات من قبيل ما يُنسب إلى العرب المسلمين وتحميلهم مسؤوليّة حرق مكتبة الاسكندرية[10] أعظم مكتبة شهدها تاريخ البشريّة تلك التي كان يفترض أن تكون درعا واقية من طوفان الأديان وحاجزا فلسفيا يمنع تسرّب الجهل والظلام وجسرا واصلا لمستقبل تنفتح فيه الآفاق العلمية من دون أن تكلّف الإنسانيّة ظلام القرون الوسطى Dark Ages الممتدّ على ألف سنة من التراجع والانحطاط.

في هذا السياق يفترض بولاسترون أنّه «إذا أردنا كتابة التاريخ على طريقة لو أنّ أو لعلّ، لقلنا ما يلي: لو أنّ هذه المكتبة العظيمة بقيت على قيد الحياة لشكّلت حاجزا فلسفيّا يقينا من طوفان الأديان التوحيدية وظلاميتها المعادية للعلم والفلسفة» [11] لقد كان بإمكان هذه المكتبة أن تفتح «الآفاق العلميّة التي تدوّخ العقول لمستقبل إغريقي وليس لمستقبل روماني»[12] ويذهب آخرون إلى أنّ مكتبة الاسكندرية «لو ظلت حيّة لقفزنا فوق سطح القرون الوسطى التي امتدّت ألف سنة في الغرب ولما مررنا بها على الإطلاق (...) وأنّ هذه المكتبة لو بقيت لكانت العصور الوسطى الظلامية أكثر استنارة على الرغم من هيمنة المسيحية».[13]

---

[10]- من المعلوم تاريخيّا أنّ إنشاء مدينة الإسكندرية يعود إلى فتوحات لاسكندر الأكبر (356-323 ق م) وتأسيسه إمبراطورية واسعة الأرجاء امتدت من مصر غربا إلى الهند شرقا، تصارع عليها قادتُه بعد موته، وانتهت إلى عدة ممالك أو دول أهمها دولة البطالمة في مصر وقورينائية (برقة) ومملكة الانتيجونين في مقدونيا، ودولة السلوقيين Seleucids التي شملت معظم ما كانت تضمه الإمبراطورية الفارسية في آسيا، إلى جانب أرض الجزيرة في العراق وسوريا وبابل. وتشير كتب التاريخ إلى أنّ بناء الإسكندرية لم يتقدم كثيرا عند موت الاسكندر 323 ق م فقد استغرق مدة تقارب الثمانين عاما، في عهد بطليموس الثاني (فيلادلفوسPhiladelphos) ثاني ملوك أسرة البطالمة التي آل إليها حكم مصر بعد وفاة الاسكندر. وفي هذه المدينة توجد المنارة المشهورة التي شيّدها المهندس سوستراتوس Sostratos، وأحياء أجملها الحي الملكي او البروكيوم Brucheium وفيه معالم بارزة مثل القصور الملكية والأكاديمية التي تشكّل أحد أجزاء المتحف الموسيوم Museum - وهو في أصل نشأته معبد للتاسوع الالهي من ربّات الفنون أو الحوريات. يشتمل على قاعات للمحاضرات، وأروقة فسيحة معمدة، وغرف للدراسة، وقاعات مشتركة يتناول العلماء وجباتهم فيها بشكل جماعي. ومن ضمن المرافق الأخرى المرتبطة بالأهداف البحثية للأكاديمية وجد مرصد فلكي، وحديقة حيوان لإجراء بعض التجارب العلمية من قبل بعض العلماء العاملين في الأكاديمية...وضمن مجمع الموسيوم المهم وجدت المكتبة التي أصبحت سمعتها-في كثير من الأحيان- تفوق سمعة الموسيوم نفسه. سعد بن عبد الله الضبيعان، **مكتبتا الإسكندرية وبرجاموم أشهر مكتبات الحقبة الهيلينستية**، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1420هـ/ 2000م، ص 116

[11]- **المرجع نفسه**، والصّفحة نفسها.

[12]- **المرجع نفسه**، والصّفحة نفسها.

[13]- **المرجع نفسه**، والصّفحة نفسها.

في هذه المكتبة اجتمعت حشود العلماء والباحثين، أغلبهم من الإغريق... من ذوي التخصّصات المعرفيّة المتنوّعة[14]، وفيها حقّقت المؤلفات اليونانية بدقّة ودُرست بعمق، وبرزت جهود العلماء في سائر المجالات المعرفيّة مثل العلوم الطبّية من جراحة وتشريح والعلوم الجغرافيّة. وأضحت شهادة التّزكية من هذه المدرسة لا تضاهيها أي شهادة علمية أخرى.[15]

والمهمّ المثير في أمر مكتبة الاسكندريّة هو اتهام العرب المسلمين بحرقها على يدي عمرو بن العاص بعد استئذان الخليفة عمر بن الخطّاب وبأمر منه.[16]

وهذا الموضوع خلافيّ طُرق من جهة الأسباب الباعثة عليه والموجبة له ومن جهة المبرّرات التي ترغّب عن إنجازه وتحول دون وقوعه. ولم تجاوز أغلب النتائج المتوصّل إليها مرحلة التّرجيح استنادا إلى توفّر الحجج وغلبتها. ووجوه الاختلاف حاصلة في مستويات عديدة منها ما تعلّق بأوّل من ذكر خبر الحريق (هل هو عبد اللطيف البغدادي في كتابه الإفادة والاعتبار أم أبو الفرج الملطي المعروف بابن العبري في تاريخ الحكماء؟) وما يستتبع التحقيق من نفي الخبر أو إثباته، ومنها تعدّد القرائن الموجبة للشكّ والنّفي والقرائن الباعثة على للتصديق متعدّدة لاسيّما أنّ الطّعون على الرّوايتين كثيرة.

يحتجّ أصحاب الشكّ والترجيح بأنّ في الإسلام ولدى المسلمين رغبة في محو كل كتاب غير القرآن. وهو شكّ يسعى بعضهم إلى تبريره وترجيح اليقين فيه باعتماد وقائع مماثلة ترجّح فعل الإحراق من قبيل الاستدلال ببعض الأخبار عن إحراق المسلمين لمكتبات في فارس وغيرها، أو شيوع إحراق المكتبات في تاريخ الإسلام شيوعا لسعي الشّيع والملل إلى التشفّي والانتقام من أعدائها، أضف إلى ذلك أن أصحاب الأديان في تلك العصور كانوا يعدّون هدم المعابد القديمة وإحراق كتب أصحابها من قبيل السعي في تأييد الأديان الجديدة.

---

[14]- يذكر الضبيعان – نقلا عن العبادي- أن عددها عشرة أقسام هي شعر الملاحم والشعر الغنائي بصفة خاصة، الشعر التمثيلي وينقسم إلى نوعين: التراجيديا والكوميديا، كتب القانون، كتب الفلسفة، كتب التاريخ، أدب الخطابة، كتب الطبّ، كتب العلوم الرياضية، كتب العلوم الطبيعية، متفرقات) **ويذكر** المؤرخون **أنّ مكتبة السيرابيوم** أنشئت بعد حوالي خمسين عاما من قيام مكتبة البروكيوم، وكانت أكثر عمومية من ناحية الاستخدام، شُيّدت بعد أن ضاقت مكتبة المتحف أو الموسيوم بما فيها من مجلدات وصل عددها إلى 400 ألف لفافة ليصل بذلك مجموع محتويات المكتبتين إلى 700 ألف لفافة أو مجلد... ينظر: الضبيعان، **المرجع نفسه** ص 116

[15]- الضبيعان، **المرجع نفسه**، ص 21

[16]- نورد ملخّص النصّ تيسيرا للقراءة والفهم بالرّغم من أنّ الخبر مشهور ومذكور. ذكر البغدادي والقفطي أنّه كان في وقت الفتح رجل اكتسب شهرة عظيمة عند المسلمين يسمى "يوحنا النحوي" كان قسيسا قبطيا من أهل الاسكندرية اشتهر بين الإسلاميين بيحي النحو ي (غرماطيقوس) عاش إلى أن فتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية. ودخل على عمرو وقد عرف موضعه من العلوم- فأكرمه عمرو وسمع من ألفاظه الفلسفية التي لم تكن للعرب بها ألسنة ما هاله ففتن به. وكان عمرو عاقلا حسن الاستماع صحيح الفكر فلازمه. وكان لا يفارقه ثمّ قال له يحي يوما: إنك قد أحطت بحواصل الاسكندرية وختمت على كل الأشياء الموجودة بها. فما لك به انتفاع فلا أعارضك فيه، وما لا انتفاع لك به فنحن أولى به. فقال له عمرو: وما الذي تحتاج إليه؟ قال: كتب الحكمة التي في خزائن الملوكية. فقال عمرو: لا يمكنني أن آمر فيها إلا بعد استئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. وكتب إلى عمر وعرفه قول يحي، فورد عليه كتاب عمر يقول فيه: وأما الكتب التي ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله، ففي كتاب الله غنى عنها، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليه فتقدم بإعدامها. فشرع عمرو بن العاص في تفريقها على حمامات الإسكندرية وإحراقها في مواقدها. فاستنفدت في ستة أشهر. فاسمع ما جرى وأعجب.

أمّا حجج المستبعدين فتبدو أوفر عددا وقد تركّزت أساسا على تهافت حكاية تفريق عمرو بن العاص المكتبة على حمامات الاسكندرية[17] وغياب الحديث عن المكتبة في شهادات كبار المؤرخين المسلمين من أمثال الطبري وأبي المحاسن والكندي والسيوطي والواقدي والبلاذري واليعقوبي وابن الأثير وابن خلدون وابن عبد الحكم، وظهور الرواية في القرن الثالث عشر الميلادي عندما أتى البغدادي والقفطي وابن العبري، فإن صحّت الرواية فبم نفسّر هذا الصمت الطويل طيلة خمسة قرون ونصف؟ وهو ما يعني ضمنيّا التسليم بعدمها.

ومن الحجج المبرّئة للعرب المسلمين تأكيد التاريخ لحصول تدميرات عديدة للمكتبة لم تُبقِ منها شيئا، واستبعاد التقاء عمرو بن العاص بشخصية يوحنا النحوي، أضف إلى ذلك تعاليم الدين الاسلامي الدّاعية إلى عدم التعرض لكتب أهل الكتاب وتنزيه المسلم عن القيام بذلك. ويضيف حمّادي بن جاء بالله في مقدّمة الترجمة العربيّة لكتاب بولاسترون سببا نفسيّا عميقا متمثّلا في حرص المسلم على تأمين عقديته وإيمانه من مداخل الشك أو الشرك، واقتناعه بأن القرآن لا يمكن أن يؤتى بأحسن منه [18] وسببا عقديّا يحرّم عليه العبث بالكتب السماوية "ففيها اسم الجلالة وأسماء الأنبياء وهو ما يقيها جميع وجوه العبث". ويرجّح، بناء على ذلك، "أنّ مدرسة الاسكندرية قد أصبحت، يوم دخل العرب المدينة، أثرا بعد عين، وأنّ مكتبتها تلاشت رويدا رويدا فهي مجرد ذكرى باهتة لا تقبل الاحتراق.[19]

---

[17]- لو أن المكتبة موجودة إبان الفتح الإسلامي لكان في الإمكان إنقاذها بنقلها مثلا- خلال الهدنة التي استمرت أحد عشر شهرا خاصة وأن الاتفاقية مع المسلمين تجيز لأهل البلاد المفتوحة نقل ما يريدون. ويعلق بولاسترون "وقد رأينا في عصرنا الحالي باحثين جادين يحسبون الأمر على النحو التالي: إذا ما حرقوا عشرين كتابا في اليوم وفي كل حمام فإنه يلزمهم أربعة عشر مليونا من اللفائف. ولكن زميلا آخر ردّ قائلا: أبدا. لا فبعض الحمامات كانت تحافظ على درجة حرارتها بمستوى ستين درجة وهذا ما يتطلب حرق مائة كتاب في اليوم أي بمعدل 72مليون نسخة في الشهر..." وينتهي إلى أنّها حكاية رمزية معوجة قليلا، ثمّ لا يستبعد بولاسترون الفعل لأنّ "هذه القصة التي رواها ابن القفطي ليست بلا أساس بالضرورة فالخلفية الثاني في الإسلام عمر بن الخطاب كان أول من لقب بأمير المؤمنين وأول من دمّر الآثار والكتب وبالتالي فقد احتل قصب السبق في هذا المجال ينظر: بولاسترون، كتب تحترق، ص 58

[18]- بولاسترون، **كتب تحترق**، ص 10

[19]- واختلف في شأن مصير هذه المكتبة، وتضاربت الآراء في شأن الحريق الذي أضرمه يوليوس قيصر Julius Caesar في الأسطول المصري الراسي في الميناء القريب من حي البروكيوم حيث تقع المكتبة وذلك في عام 47 ق م. تضاربت آراء الكتاب والمؤرخين فيما يتعلق بهذا الأمر بين مؤيّد وقوعه وصامت عن ذكره صمتا غامضا مثيرا. وقد أورد الضبيعاني في بحثه جملة من هذه الآراء، من قبيل الرأي القائل بصحّة وقوعه (رأي سنكا Seneca وديو كاسيوسDio Cassius) ورأي ثانٍ يبدو أنّه آثر السّكوت ومن أصحابه يوليوس قيصر نفسه، واسترابون أغفل ذكره في كتاباته وهو الذي، في ما تذكر بعض المصادر، قضى في المكتبة عشرين. فهل كان الصمت في معنى غضّ الطّرف عن حصول إساءة غير مقصودة واستجابة لطلب يحفظ الصورة المشرقة لأحد الكبار؟ وهل يذكر المؤرّخ ما لايروق للسلطة ذكره لا سيما أنّ في ذكر الحادثة استدعاء للألم ونكأ للجراح القديم؟ يذكر الضبيعاني –نقلا عن بلوتارك- أنّ يوليوس قيصر، لما أوشك أسطوله أن يقع في أيدي أعدائه، اضطر إلى أن يدرأ الخطر بحريق انتشرت من الترسانة البحرية وأتى على دار الصناعة وما جاورها من المباني حيث كانت المكتبة الرئيسية. **المرجع نفسه**، ص 38 ويرجّح بعضهم أنّ مكتبة البروكيوم قد طالها الحريق ولكن يبدو أن التدمير لم يكن كاملا، إذ بقيت المؤسسات العلمية والمكتبات في الاسكندرية تؤدي عملها في عهد الرومان، ولكن بدرجة اقلّ ممّا كانت عليه خلال حكم البطالمة حتى حلول القرنين الثالث والرابع حيث حلّ الدّمار الشامل بحيّ البروكيوم. أمّا الدّمار الشّامل فقد حصل في نظرهم، في عهد الامبراطور الروماني كراكلا (211-217م) الذي اقترن بقتل السّكّان وهدم المباني وإلغاء امتيازات العلماء ومكافآتهم وطرد الأجانب منهم. وتواصل الدّمار في عهد أورليان Aurelian (270-275م) عندما أراد قمع ثورة الاسكندرية عام 273م فأحرق جزءا كبيرا من المدينة حلّ معظمه بحي البروكيوم، فرّ على إثره العلماء. ويضيف المؤرخون أنّ "مسلسل التّدمير" في حلقته الثالثة نتج عن "المنازعات الدينية التي كانت بداياتها الاضطهاد ضدّ المسيحيين على يد الامبراطور دقلديانوس الذي ما لبث أن تحوّل ضدّ الوثنيين بعد أن تمكنت المسيحية وقويت شوكتها في مصر. ففي عام 391م قام البطريق ثيوفيلوسTheophilus بهدم معبد السيرابيوم أحد المعاقل الرئيسية للوثنية في الاسكندرية. ولقد أكمل رسالة أورليان الامبراطور جستنيان (527-565م) عندما أمر بإغلاق جميع المدارس الوثنية". فهل انتهى مصير المكتبة بهذه الحوادث المتلاحقة أم نُقل من كتبها ومخطوطاتها ما نُقل؟ وهل بقي للعرب ما يُحرق؟

وعلى وجاهة هذه الحجج والأسباب لاسيّما ما جاء في مقدّمة حمّادي بن جاء بالله فإنّ باب التأويل في هذا الموضوع يظلّ منفتحا لتوفّر الحجج والحجج المناقضة وتساويها في الغالب قوّة إقناعيّة وتأثيريّة.[20] ثمّ إنّ التّاريخ يطلعنا على حوادث أحرق فيها المسلمون كتبا تتضمّن اسم الجلالة وأسماء الأنبياء، بل أحرقوا مصاحف القرآن التي لم تكن رسميّة في نظر الخليفة عثمان بن عفّان. وهو ما يعني أنّ الرغبة في الحرق والإتلاف كانت بلا ضابط أو وازع دينيّ.

ولم يكن إحراق الكتب ناتجا عن التّعارض بين العقل والدّين فحسب أو مقتصرا عليه، وإنّما نتج أيضا عن صراع الطّوائف وتناحر أصحاب الملل والنّحل فإذا العقائد تنفي العقائد والأديان تتّهم الأديان غير أنّها - على اختلافها وتناقضها - قد نهجت منهجا واحدا قوامه السّعي إلى الانتقام من الآخر بإبادته وطمس معالمه.

2- اعتراض الدّين على الدّين:

النّاظر في حوادث الحرق والإتلاف في تاريخ الإنسان ينتهي إلى استخلاص أنّ أشدّ النّكبات التي حلّت بالكتب وأتلفتها حرقاً مأتاها التّعصّب الأصولي والتحجّر العقائدي وادّعاء كلّ دين امتلاكه الحقيقة وطعنه على سائر الأديان والمعتقدات. فكانت النّار بديلا من الحوار. وفي التّاريخ شواهد لا تُحصى على ما تفضي إليه الانقسامات والانغلاقات التي تحصل داخل الدّين الواحد أو بين الأديان من عظيم الشرّ والأذى. وليس الأمر مختصّا بعصر من العصور أو بمصر من الأمصار. يحدّثنا بولاسترون عن الصّراع بين المسيحية واليهودية، وبين الإسلام والمسيحية، وبين السنّة والشّيعة في الإسلام وبين الكاثوليك والبروتستان في أوربا...

ويورد بولاسترون نماذج من اضطهاد المسيحية للإسلام. من ذلك ما حصل في اسبانيا الكاثوليكية: في ديسمبر 1499 إذ «تمّ تعميد ثلاثة آلاف مسلم بالقوّة وأوجبوا عليهم اصطحاب كلّ كتبهم كي يتفرجوا عليها وهي تحترق في ساحة فيفارااميلا في غرناطة» وفي هذا الموكب كان التخلّص من الدراسات الفلسفية. وبأمر البابا سنة 1515 ألقيت في النّار «الكتب المترجمة من اليونانية والعبرية والعربية والكالدية إلى اللغة اللاتينية

---

[20]- ينظر:

- محمد عبد المنعم عامر، **الإسكندرية: المكتبة والأكاديمية في العالم القديم**، القاهرة، المكتبة الأكاديمية 2000، ص 9، الفصل الخامس عشر، ص ص 115–161 (من الذي أحرق مكتبة الإسكندرية؟)
- حسن إبراهيم حسن، **تاريخ عمرو بن العاص**، مكتبة مدبولي، 1997، سلسلة صفحات من تاريخ مصر، ع 34
- سعد بن عبد الله الضبيعان، **مكتبتا الإسكندرية وبرجاموم أشهر مكتبات الحقبة الهيلينستية**، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1420هـ/ 2000م

أو اللغات الدنيوية، وكذلك الكتب التي تحتوي على مغالطات في الإيمان وعقائد فاسدة (...) وأيضا أهجية مسيئة لشخصيات مرموقة»[21]. ثمّ جرى منع اللغة والأسماء والثياب العربية[22] ولم تُستثن إلا كتب الطبّ.[23]

وليست الوقائع المذكورة في تاريخ حرق الكتب حالات استثنائيّة معبّرة عن اقتناع عميق بأهميّة الكتاب، بل إنّ التّفكير والسّلوك الشّائعين هو أن تسود البلاد، مع كلّ حكم ومذهب، حملة تطهير وتنظيف تهدف إلى إزالة آثار المذهب السّابق. هذا ما يُتّهم به القائد صلاح الدين في مصر، بأنّه قد باع كتب الفاطميين ليدفع بسعرها الرواتب لجنوده ولينظّف البلاد من كلّ أثر للمذهب الشيعي.[24] وهذا ما فعله السلاجقة عند وصولهم إلى السلطة 1059م فقد "سنحت المناسبة للسنة لكي ينتقموا من الشيعة فهجموا على حي الكرخ واستباحوه واندفعوا مباشرة نحو دار العلم فحرقوها. وبعد أن خمدت النيران أمر السلطان بتفريق العامة أو الدهماء التي شرعت بأعمال الشغب والسلب ثم جاء هو شخصيا إلى المكان لجمع الكتب الناجية من الحرق وإرسالها إلى بيته.[25] وهذا ما يحصل الآن في أفغانستان، ذلك أنّ «أي كتاب غير القرآن هو بالنسبة إليهم أقلّ قيمة من الموسيقى التي هي أصلا في أدنى مراتب سلّم القيم».[26]

وهذا ما يحصل اليوم في دول عربيّة وإسلاميّة عديدة في إطار مخطّط ماكر وحرب خفيّة تستهدف استئصال الخصوم السياسيّين واجتثاث البدائل الفكريّة التي قد تتعارض في الغد مع الأطروحة المركزية للغالب فتحولَ دون بقائه في مركز النفوذ والقرار.

---

[21]- **المرجع نفسه**، ص 190

[22]- **المرجع نفسه**، ص 192

[23]- **المرجع نفسه**، ص 190

[24]- **المرجع نفسه**، ص 123

[25]- **المرجع نفسه**، ص 116

[26]- **المرجع نفسه**، ص 324 من ذلك مثلا ما قام به رجال طالبان بعمامتهم السوداء وبأوامر من الملا عمر يوم 12 أوت 1998 عند الساعة العاشرة والنصف بعد ليلة من المعارك مع القوات المتحالفة مع القائد مسعود. توجهوا مباشرة نحو مركز حك وأطلقوا نيران رشاشاتهم على الأبواب الموصدة وخربوا محتوياته. وألقيت المحتويات من النوافذ والكتب في الماء ونشبت النار في المطبعة كي لا يبقي شيء، وفي غضون ثلاث ساعات أتلفت في ذلك اليوم مجموعات كاملة من الصحف والدوريات الأفغانية والايرانية التي تعود إلى القرن التاسع عشر. وكذلك كتب في مياديم مختلفة في التاريخ والفلسفة والأدب والدين. وكان من بينها عدد كبير من المخطوطات القديمة القرنية والعامية لشعراء من القرن 17 ونسخ نادرة من الشاهنامة الفارسية أي كتاب الملوك...واعتبروا ذلك انتصارا حقيقيا

وإجمالا، تتعدّد أنواع الصراع وأطرافه وموضوعاته غير أنّها تنتهي في الغالب إلى المشهد نفسه والنتيجة نفسها: شكوك، فاتهام، فتفتيش، فمحاكمة، فمصادرة كتب، فمحرقة على الملأ في ساحات عمومية، فطقوس احتفاليّة توهم بأنّ حرق الكتب نصر مبين.[27]

3- اعتراض العقل على الدّين:

«أسرعوا في إرسال هذه الكتب إلى خليفة المسلمين لأنّ العلوم العقليّة ما دخلت بلدا قائما على المؤسّسات الدّينية إلا أفسدته وزرعت فيه بذور الشّقاق والخلاف بين علمائه».

هذا خبر أحد المستشارين ينصح قائده بأن يسرع في إرسال الكتب العقلية إلى الخليفة العباسي المأمون لمّا أرسل إليه -وإلى سائر الأباطرة والملوك- يبادلهم بالهدايا الثمينة ما في خزائنهم من كتب أفلاطون وأرسطو وأبوقراط وجالينوس واقليدس وبطليموس... أرسل إليه الكتب وفي ظنّه أنّ العقل الموصول بالقيم الإنسانية السامية،قيم الخير والحق والجمال، متى خالط الدّين وتنزّل في إطاره أصبح موصولا بالاختلاف والانشقاق والتصدع والفراق. ولهذا انتشر هذا الخبر انتشارا يُكسبه مصداقيّة ويضاعف من قوّته التأثيريّة.

ولكن تستوقفنا في هذا الخبر وجوه باعثة على التشكيك فيه.

يأتي **أوّل** الوجوه من جهة الإيهام بتحيّن فرصة الفعل قصد القضاء على العدوّ، فبدا بمنزلة من يبتغي في أرض خصمه شبرا أو ذراعا فيهبه الخصم باعا بل يجعل له الأرض امتدادا ووساعا. وليس الأمر كذلك لأنّ لتسريح العقل في الدّين طرائق ومنافذ يعسر حصرها وإدراكها. فالأمر بالإسراع ها هنا من جهة المغالطة بأنّ أمرا نافعا يوشك فواته وجب أن يُستقدم أو أنّ هناك أمرا ضاراّ يوشك حصوله وجب أن يُستدفعَ.

وفي الخبر المرويّ مصدر تهافت **ثان** آتٍ من جهة بناء القول على مقابلة مغلوطة وموهومة، بين العلوم العقلية والعلوم الدّينية. فنحن نعلم أنّه لاشكّ في أنّ بين حيرة العقل في طلب اليقين وبين طمأنينة الدّين إلى الجاهز من الأحكام بونا شاسعا وفرقا كبيرا غير أنّ العقل والدّين ها هنا قد أُجريا على الصّراع والتناقض حتى بدت العلاقة بينهما تضادّا ونفورا. وليس الأمر في حقيقته كذلك لاسيما متى علمنا أنّ العقل في الحضارة العربية الإسلامية قد نشأ في أحضان الدّين وتطوّق به ودار في فلكه ووُظّف لدعم أطروحاته... ولعلّ التركيز على مصير المؤسسات الدينية وتصوير ما سيحصل لها على نحو استباقي من شأنه أن يحرّك العاطفة الدينية،

[27]- نشير هنا إلى تركيز بولاسترون على محاكم تفتيش التي تتفحّص كتب اليهود بطريقة دفاعية صارخة منتهيا إلى أنّه –متى ثبتت الإساءة في نظره- فإنّ المسؤولية تقع على مؤلف الكتاب وحده ولا يمكن أن نعتبر الشعب اليهودي كلّه مسؤولا عنها.. **المرجع نفسه**، ص 140، يبدو هذا الموقف –حصر المسؤولية في الجاني- موقفا سليما شرط المعاملة بالمثل وعدم الوقوع في التناقض بين القول والفعل.

إذ ليس أيسر من إدراك الغايات البعيدة بالمغالطة من قبيل إيهام الناس بأنّ دينهم في خطر. وعلى قدر الاقتناع بها يكون الحرص عليها والذّود عنها.

وعلى هذا الأساس بُني القول الوارد في الشاهد بناء موافقا لما يصدر عن رجل الدّين عندما يمقت العقل ويضيق به ويحذّر منه ويكيد لإقصائه. وعلى هذا الأساس نرجّح أن يكون القول صادرا على رجل دين وعقيدة لا عن رجل عقل واعتبار. ولكنّ استبعاد حصول الخبر على هذا النّحو من الصياغة والتعبير لا ينفي كون العقل يسرح في الدّين وكثيرا ما يعترض عليه ويبطل ما جاء فيه ويعدّله ويخلّصه من الأوهام والأخطاء. فالإتلاف ها هنا في معنى التصحيح والإبطال والنّخل والاستصفاء يكون بقوّة المنطق القادر على صرف الأذهان عن المعتقدات الضارّة والأطاريح الخاطئة لا بإيقاد المواقد وإلقاء الكتب فيها. فالعقل من هذه الجهة رديف للحوار المخصب نقيض للنار المتلفة. غير أنّ العقل - وهو يواجه الدّين - لا يمتنع أحيانا عن الاستنجاد بالنّار والعدول عن مسالك الحوار. ينكشف هذا الوجه عند رجل السياسة وهو يتدبّر ناجع الاستراتيجيات لتجريد رجل الدّين من سلطته المتعاظمة لاسيما وهو يفكّر في عاقبة الأمور فيبني النتائج على المقدمات. ومن أمثلة ذلك ما أقدم عليه عثمان بن عفّان من حرق المصاحف. يبدو هذا الحرق مبرّرا، محكوما بمقصد نبيل متمثّل في حماية القرآن من التحريف والتشويه والتغيير والتبديل وسائر ضروب الآفات التي تطرأ على الجنس القوليّ المتناقل شفويّا عن طريق السّماع فالرّواية.

ولم يكن فعل الحرق بريئا من مقاصد سياسيّة متمثّلة في انتزاع الخليفة سلطة القرّاء الذين كانوا يحفظهم القرآن في الصّدور يتكسّبون في الأمصار ويهدّدون السلطة المحليّة بحجّة ائتمانهم على كتاب الله. ولذلك رأى الخليفة عثمان بن عفّان أنّه «لا توجد إلا نسخة واحدة رسمية وصحيحة من القرآن أما بقيّة النسخ فخاطئة وينبغي تدميرها. وقال إنّ هذه النسخة موجودة عند حفصة بنت عمر بن الخطاب والزوجة الرابعة للرسول، ثمّ أشاعت الدعاية الرسمية بأنّها استلمت هذا المصحف من والدها أبي بكر شخصيا، وهو والد زوجة الرسول وأول الخلفاء. ولكي يقطع الطريق على المماحكات الجدالية أو النميمة أو الشائعات المضادّة فإنّ عثمان بن عفان لجأ إلى سكرتير (كاتب) محمد شخصيا وطلب منه أن يشرف على كتابة نسخة من القرآن وكتابة نسخ أخرى لكي توزع في الأمصار وتفرض على الجميع بوصفها النسخة الوحيدة الصحيحة».[28]

[28]- **المرجع نفسه**، ص 98

وبهذا الاقتناع، أرسل الخليفة عثمان بن عفّان هذه النسخة «الرسميّة» إلى سائر المدن الإسلامية لتكون المعتمد والحجّة وفرضها فرضاً، حاكما بالنّار على جميع النّسخ «المشوّهة» من المصحف.[29]

وشبيه بهذا الصنيع ما فعله الخليفة المنصور بعد قلق مؤرق من تعاظم نفوذ الفقهاء وتلاعبهم بالدّين وتوظيفهم العقيدة لطمس آثار العلماء وانتقاد الخليفة وإرغامها إيّاه على الاستجابة لأوامرها وتنفيذ رغباتها. في هذه الأجواء لجأ المنصور «إلى أكبر حلّ راديكالي يضمن له ترسيخ سلطته وإرضاء شعبه ألا وهو حرق مكتبة الخلفاء. وكانت تلك حيلة شيطانية من أقوى ما يكون».[30]

وأيّا تكن المقاصد، فإنّ مثل هذه الأفعال، لاسيّما وهي تصدر عن خليفة المسلمين، قد غذّت الشّكوك وأشعلت فتيل السّجال والنّزاع وأذكت الرّغبة في طمس آثار المخالفين رأيا أو عقيدة

ولذلك خلص بعضهم، وهو يدرس تاريخ العرب المسلمين، إلى الإقرار بأنّ ضياع المجد الحضاريّ العربيّ وهزيمة العرب المسلمين يرجعان أساسا إلى ضعف التفكير وسوء التدبير والانشغال بالمماحكات الفارغة بين الفقهاء. وفي هذا السّياق يرى بولاسترون أنّه، لمجمل هذه الأسباب، استباحت الأعداء أمصار العرب المسلمين وهتكت حرمتهم وساهمت في فرقتهم وهزيمتهم بالرّغم من كثرتهم. فانطفأت ثلاث شموع للمعارف والعلوم: حضارة المأمون ببغداد، وحضارة الأمويين في قرطبة، وحضارة الفاطميين في مصر.[31]

4- وإذا حكمتم بين الكتب أن تحكموا بالعقل:

إنّ فعل الحرق ليس مقتصرا على ما هو دينيّ ولا منحصرا فيه، بل هو يتّسع ليشمل سائر المعارف والعلوم، ضمن نوع جديد من الاعتقاد يوظّف فيه العقل توظيفا إيجابيّا يوحّد بين المختلفين، أو توظيفا سلبيّا قائما على إقصاء الآخرين قاصدا إلى طمس آثار السّابقين.

4-1- نور الكتاب (توحيد العقائد)

أوكلت إلى الكتاب، منذ ظهوره، وظائف مهمّة متمثّلة أساسا في تأريخ جسيم الأمور وخطّ عظيم العهود وإخصاب الآراء والعقول وحفظ المعارف والعلوم ونقل بليغ المواعظ والحكم. ولأجل ذلك حُفر في الصّخور

[29]- بولاسترون، كتب تحترق ص 98 في أثناء هذا الوقت كان مروان بن الحكم والي المدينة قد ذهب إلى حفصة بنت عمر لكي تسلّمه النسخة التي تمتلكها عن القرآن فرفضت فقال لها: سوف أنتظر موتك وأنالها. وهذا ما حصل إذ تسلّمها من أخيها وعندئذ حرق مروان المخطوطة على مرأى ومسمع من الجميع قائلا: "ما كان فيها أخذناه ولا نريد بعد الآن أن يظهر أحد ويشكّك بصحّة النسخة الرسمية التي ترضاها على المسلمين"

[30]- **المرجع نفسه**، ص 107

[31]- **المرجع نفسه**، ص137

ونُقش في الحجارة واعتبره المفكرون القدامى أولى في تخليد المآثر من بنيان الحجارة وحيطان المدر لأنّ من شأن الملوك أن يُطمسوا على آثار من قبلهم، بهدم مدنهم وحصونهم[32]. فبالكتاب تُكتسب قوّة إضافية على مقاومة عفاء الزّمن وسلطان النّسيان فإذ يموت الكاتب يحيي كتابه، وإذ يرحل الحكيم تبقى مصنفاته وآثاره، وإذا ما تآكل الأثر أُعيد خطّه في ورق جديد، ومتى نفدت النّسخ تجدّد نسخ الكتاب ووهبته آلات الطباعة وعقول القراء أكثر من حياة.

ولهذا أصبح نشر الكتاب شرطا أساسيّا لصيانته وحفظ وجوده من جهة، ولاستبقاء نعمه وفضائله من جهة ثانية لأنّه قد صحّ أنّ العلم «لن يُصان بمثل بذله، ولن تُستبقى النّعمة فيه بمثل نشره»[33] ولأسباب عديدة، طلب الإنسان الكتاب طلبَ المحبّ حبيبه، يمهره المال بلا منّ وينفق عليه بلا حساب، مؤمنا بأنّ العلم لا يهب خالصَ الحكمة حتى يوهب خالص المحبّة. فكان سخاء النّفس بالإنفاق على الكتب من الدّلائل على تعظيم العلم وشرف النّفس. والأمر جارٍ لدى العلماء والباحثين والهواة والمحبّين على نحو طقوسي يكاد أحيانا يبلغ مراتب العشق اقتناء وتلمسا واستنشاقا وتصفحا وقراءة واجتهادا في حفظه عمّا يتلفه وحجبه عمّن يؤذيه. وفي هذا التكريم آية من آيات الاقتناع بأنّ الكتاب-وهو أفضل جليس وأكرم أنيس- سبيل إلى ارتفاع الهمّة وارتياح النّفس وقوّة الرّأي وخصوبة الخاطر وشحذ العقل، به يدرك ما كان من الأمور عسيرا عصيّا، وبفضله ينفتح ما كان من المسائل مشكلا مستغلقا. فالإنسان، في مجال المعارف والعلوم، عاجز بنفسه فمقصّر، مستطيع بغيره فمقتدر إذ «لو لجأنا إلى قدر قوّتنا ومبلغ خواطرنا ومنتهى تجاربنا لما تدركه حواسّنا وتشاهده نفوسنا، لقلّت المعرفة وسقطت الهمّة وارتفعت العزيمة وعاد الرّأي عقيما والخاطر فاسدا ولكلّ الحدّ وتبلّد العقل». ولو تمّ ذلك لحرم المرء أكثر النّفع و«لبطل أكثر العلم، ولغلب سلطان النّسيان سلطان الذّكر، ولما كان للنّاس مفزِع إلى موضع استذكار». ولو كُلّف المرء حفظ الكتب وما فيها لكُلّف شططا وبدا عن المهمّ من أموره عاجزا ومشغولا.

وهذا الحُكم قديم متجدّد، جارٍ وجوباً على من هو حاضر وعلى الآتي في مستقبل الدّهر إذ «ينبغي أن يكون سبيلنا لمن بعدَنا كسبيل من كان قبلنا فينا، على أنّا وجدنا من العبرة أكثر ممّا وجدوا، كما أنّ من بعدنا يجدُ من العبرة أكثر ممّا وجدنا»[34]. وبهذه الخصائص والوظائف نفهم تلك الصّور البيانيّة والعبارات المجازيّة المصوغة بأساليب المدح والمقابلة والازدواج صياغةً يتبدّى الكتاب بها ذا قدرة خارقة، ينطق عن الموتى،

---

[32]- الجاحظ، **كتاب الحيوان**، ج1، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل - بيروت، 1996، ص 68 ص 72

[33]- هذا ما ذكره الجاحظ، في مقدّمة كتاب الحيوان، في سياق تفضيل الكتاب وتفويقه على سائر أنواع البيان، في نصّ مشهور محكم الصياغة متين البناء متنوّع القضايا متعدّد المقاصد والأبعاد، تطرّق فيه إلى موضوعات عديدة لها بالكتاب أسباب وأنساب، من قبيل مزايا الكتاب وفضائله، والوظائف التي ينهض بها، وشروط الكتابة والتّأليف، وطبيعة المعرفة الإنسانيّة تساهم الأجيال المتعاقبة في تنميتها، مفيدة من حكم الأوائل إفادة تقوى بها أسبابها إلى المعرفة ويحسن حظّها من الحكم. المرجع نفسه، ص 84

[34]- الجاحظ، المرجع نفسه، ص 85

ويترجم عن الأحياء، ويجمع الأوّل والآخِر، والخفيّ والظّاهر، والشّاهد والغائب، والشّكل وخلافه، والجنس وضدّه، والأعرابيّ والرّومي والهنديّ والفارسيّ واليونانيّ والقديم والمولّد...

وفي تاريخ الحضارة العربيّة الإسلامية فترة مضيئة أشرق فيها الكتاب لمّا عرض العقل على العقول وتيقظت الأذهان للمعارف والعلوم تيقظا أفضى إلى تراكم «جبال من الترجمات عن الخارج وخاصة من اليونان»، وفي ازدياد عدد المؤلفات في المكتبات العربيّة، في مجالات معرفيّة متنوّعة.[35]

ففي سبيل الكتاب بُذلت الأموال والهدايا على نحو يتزاوج فيه واقع التاريخ بخيال الرواة، يتحدث بولاسترون عن الخليفة المأمون وقد غمر أباطرة بيزنطة والملوك الآخرين بالهدايا مقابل أن يرسلوا له كتب الفلسفة التي يمتلكون في خزائنهم، من أشهرها كتب أفلاطون، وأرسطو، وأبوقراط، وجالينوس، واقليدس، وبطليموس... وبفضل هذه السّياسة، تدفّقت على بغداد كتب ساعدت على تأسيس العصر الذّهبيّ للحضارة العربيّة الإسلاميّة. ويذكر بولاسترون صورة طريفة من صور حبّ الكتاب والترغيب فيه والحثّ عليه، ما لجأ إليه الخليفة الأندلسي هشام بن عبد الرحمان الثالث، إذ تذكر المؤرخون أنّه كان يدفع ثمن النسخ الأولى بالذهب، وأنّه بهذا التشجيع استقطب إليه العلماء. ولم يجد بعض الخلفاء بدّا من إيجاد الحيلة لتوفير الكتاب، من ذلك ما قام به الحكم الثاني في معرض رفضه دعوة رجال الدين منع الخمرة آمرا إياهم بصلواتهم قائلا لهم إن الضريبة المفروضة على الخمرة أتاحت له تكوين مكتبة ضخمة تضمّ آلاف الكتب المذهلة تتحدث عن تاريخ مصر أو تاريخ المغرب العربي أو مؤلفات الشافعي أو ملخص للتملود للعهد القديم والجديد...[36]

وكان من أثر الاحتكام إلى العقل أن تعمّقت البحوث في مختلف ميادين المعرفة ومجالات النّشاط الانسانيّ ليضحي بيت الحكمة في القرن الثالث للهجرة/ التاسع للميلاد « مكتبة شعبية ضخمة تسود فيها حرية التفكير والتعبير كما أصبح ملتقى للنقاش والتفاعل بين الفلسفة والدين»[37]

في هذا البيت العلمي تآلف العلماء والباحثون المسلمون والمسيحيون واليهود والزرادشتيّون والصّائبون يجمعهم –على اختلاف أديانهم وعقائدهم- تفكير سليم وعقل قويم ورغبة في الإضافة والإبداع أثمرت، في مجال البحث، أرقى أشكال التعاون والانسجام. وبتفويق العقل نشأ ضرب من التأليف كان مصدر المجد والإشراق لا في حضارة العرب المسلمين بل في الحضارة الإنسانية عموما. فمن صور المجد والإشراق ذلك

---

[35]- **المرجع نفسه**، ص 101

[36]- **المرجع نفسه**، ص 102

[37]- **المرجع نفسه**، ص 112

الائتلاف الحاصل في بيت العلم بين المسلمين والمسيحيين واليهود والزرادشتيين والصائبين، كانوا يبحثون في علوم الفلك والرياضيات والجغرافيا وسائر العلوم بكلّ تعاون وانسجام يجمعهم العقل والمقصد الإنساني وإن بدت دياناتهم مختلفة.

4-2- نار الكتاب (صناعة العقائد)

يندرج فعل الحرق والإتلاف ها هنا ضمن مشروع سياسيّ قاصد إلى (التطهير) لا في معناه الأرسطيّ الباعث على تخليص النفوس من الشرور والآثام وإنما في معناه الإيديولوجي القائم على طمس اللاحقين لآثار السابقين سبيلا إلى الهيمنة والتحكم في العقول لتعظيم السلطة والنفوذ. يبرز هذا المظهر في فترات التحول السياسي عندما تلجأ الأمم الفاتحة والسلطة السياسيّة المستولية على الحكم والأنظمة الجديدة المدفوعة بهاجس السّيطرة على الشّعوب المغزوّة إلى تغيير تاريخ البلاد المفتوحة أو إقامة «عهد جديد» يُحاسب فيه الماضي محاسبة عسيرة كثيرا ما تنتهي به إلى التزييف والتّحريف و«تصفية » الفكر من «الشّوائب» والقضاء على ما يُعتبر خطرا قائما يتهدّد «سلامة العقل والتّفكير». ولذلك تكثر مصادرة الكتب وحرقها ومحاسبة أصحابها.

ويرى بولاسترون أنّ الدّافع الأكبر لارتكاب مثل هذه الأفعال محكوم باقتناع قويّ لدى أصحاب السّلطة مفاده أنه لا يمكن الهيمنة على الشعب المتعلم المثقف.[38] ويتمّ هذا الفعل سواء بالحرب الشرسة التي تأتي على كلّ شيء فتمحو المعالم والآثار[39] من ذلك ما حدث في العراق في فترة الحظر المضروب عليه، فقد أدّت عمليّات التفتيش والتنقيب العشوائيّة إلى سرقة الغربيّين مئات الألواح المسماريّة والتّحف وإلى اختفاء الوثائق وتدمير بيت الحكمة وإتلاف آلاف الكتب التي لم تحترق مع المبنى غير أنّها بيعت في الحديقة المقابلة بلا وجل.[40] وفي خضمّ هذه الفوضى كانت النيران درعا لعمليات النّهب والسّطو وإطارا مناسبا للمتطفّلين يغنمون من المكتبة الأكاديمية ما يريدون.[41]

---

[38]- **المرجع نفسه**، ص 21

[39]- من ذلك ما حصل سنة 1940 في الحرب العالميّة الثّانية إذ دمّرت المدافع الألمانية مكتبة لوفان الكبرى التي بدت رمز الإخاء الغربي في حقل المعرفة واحتوت ما يفوق المليون كتاب. كما حرقت عشرة ملايين من كتب المجموعات العامة الألمانية بفعل عمليات القصف،وهي حصيلة تقارب ثلث الكتب الموجودة في البلاد آنذاك) ويشير بولاسترون أنّ قائمة عمليات القصف المدمرة للمكتبات ما بين 1940-1944 كانت مذهلة فضلا عن تكرارها كثيرا. فقد جرى تدمير 200 ألف كتاب من المكتبة البلدية لمدينة تور و42 ألف في بوفيه و110 ألف في دواي و23 ألف في شارتر...كان يوجد في هذه المدينة كنز من ألفي مخطوطة... **المرجع نفسه**، ص 255 وص263

[40]- **المرجع نفسه**، ص 330 يشير بولاسترون إلى أهميّة المكتبة الوطنيّة ومكتبة الأوقاف الواقعة قريبا منها. يذكر أنّ مقتنياتها قُدّرت عشيّة الغزو بملوني مطبوعة مرقّمة. ويشير أيضا إلى إغلاق دار صدام للمخطوطات والذي جمعت فيه السلطة 27 ألف قطعة قديمة كانت مصادرة أو مسروقة غالبا (من الأمكنة الشيعية المقدسة في النجف وكربلاء)

[41]- **المرجع نفسه**، ص 330

وعلى هذا النّحو جرت تلك المواكب الاحتفالية في ألمانيا النّازيّة عندما استهدف هتلر «العدميّة الثقافيّة» وقرّر سنة 1933 إرساء قيم «إنسانية جديدة»[42] اقتضت تخليص البلاد من السّموم الفكريّة بإحراق آلاف الكتب. وعلى النّحو نفسه جرت في الاتحاد السوفياتي (سابقا) سنة 1950 عمليات تخليص المكتبات من المطبوعات «الخطيرة ايديولوجيا» فكان إرسال أطنان الكتب إلى مصنع عجين الورق.[43] وكذلك الأمر في الصّين إبّان ثورة 1949، فقد كان مسموحا لجنود «ماو» إتلاف أية كتابة تقع تحت أيديهم من أراشيف أو كتب قديمة أو كتب أجنبية أو تخطيطات فنية... ولم تُستثن إلاّ الكتابات الماركسيّة. ولذلك تمّ سحب ملايين الكتب النادرة من مؤسسات القراءة العامة أو الأكاديمية وانتهت إلى الحرق ولم يعد أمام المثقفين من حلول غير الموت أو «ترميم أنفسهم بأنفسهم»[44]

ولعلّ الظّاهرة اليوم أشدّ ما تكون انتشارا ونتائجها أفظع ما تكون قسوة ووحشية لا لكثرة الطوائف والملل فحسب بل لطغيان الجهل وغياب التبصّر والعجز عن التفطّن إلى حيل المموهين واستراتيجيات السياسيين الذين راهنوا على هذه الظاهرة ورأوها أنجع وسيلة لإثارة البغضاء والكراهية وخلق التناحر وتدمير المدن وإتلاف الفكر وإعدام الإنسان المغضوب عليه. فكان تشجيعهم للحركات الدينية السياسيّة في السرّ وإنكارهم إيّاها على العلن. وسواء تفطّنت تلك الحركات والتنظيمات إلى هذه الخدعة ورضيت بالدّور في مقابل سلطة وهمية ونفوذ محدود أم انخدعت سذاجة وقلّة تجربة فإنّها في الحالين معا كانت سبب هذا الدّمار.

---

[42]- بولاسترون، **كتب تحترق**، ص ص 266-267، يذكر بولاسترون مشاهد من تنفيذ هذه القرارات، من ذلك ما وقع في 10 ماي 1933 عند الساعة العاشرة ليلا في ساحة الأوبرا ببرلين. فقد سار وفد من الطلبة في موكب تتقدمه موسيقى فرق الهجوم (...) كان الطلبة يرتدون لباس مهرجانات اتحاداتهم ويحملون المشاعل بأيديهم. قام حملة المضخمات برشّ البترول على المحرقة وأولعوا النار فيها. عندها جلبت الشاحنات الكتب واصطف الطلبة في رتل لإلقاء الكتب في اللهب. وعند إلقاء كل رزمة جديدة من الكتب في النار كان نذير يعلن عاليا اسم المؤلف المدان ويذكر قرار الحكم بالتنفيذ: **النّذير الأول**: ضدّ النزعة المادية وصراع الطبقات ومن أجل وحدة الشعب ومفهوم مثالي للحياة ألقيت في النار كتب ماركس وكاوتسكي **النّذير الثاني**: ضدّ الانحطاط الأخلاقي ومن أجل السلوك الحسن وذهنية العائلة وروح الدولة ألقيت في النار كتابات هنريش فان وارنست غلازر وايريك كاستنر **النّذير الثالث**: ضدّ المشاعر الدنيئة والخيانة السياسية حيال الشعب والدولة ألقيت في النار كتابات فريديرك ويلهالم فورستر **النّذير الرابع**: ضدّ الفساد الروحي والشطط وضدّ تعقيد مسيء للجنس ومن أجل نبل النفس الانسانية ألقيت في النار كتابات سيغموند فرويد **النّذير الخامس**: ضدّ تزوير تاريخنا وتدنيس الشخصيات التاريخية العظيمة ومن أجل احترام ماضينا ألقيت في النار كتابات آميل لودفينغ ووارنر هيغمان **النّذير السادس**: ضدّ الصحفيين الأجانب وضدّ توجهاتهم اليهودية الديمقراطية ومن أجل عمل متيقظ وتعاون في عملية إعادة البناء الوطني ألقيت في النار كتابات تيودور وواف وجورج برنهارد **النّذير السابع**: ضدّ الخيانة الأدبية حيال جنود الحرب الكبرى (الحرب العالمية الأولى) ومن أجل تربية الشعب على المبادئ السليمة ألقيت في النار كتابات إريك ماريا روماركِ **النّذير الثامن**: ضدّ السفاهة والغطرسة ومن أجل احترام وتقديس خلود الروح الألمانية القيت في النار كتابات توكولسكي وأوسيتزكي. وقد أُلقيت في نار ذلك المساء ما بين 20 و25 ألف نسخة لعدة مؤلفين آخرين.. تلك الأعمال جرت في الوقت نفسه في عدة مدن كبيرة أخرى...علّق أحد الكتاب قائلا: "عندما أسمع أحدهم ينطق بكلمة ثقافة أقوم بتذخير مسدسي بالرصاص" ثمّ علّق كاتب آخر بقوله: إنّ عمليات حرق الكتب يتم تقديمها كخطيئة ضدّ العقل. لكنني أراها على العكس رمزا لنهضة روحية بالنسبة لجميع أولئك القديسين والنبلاء والشرفاء" وتمّ تدشين المكتبة الألمانية للحرية يوم ذكرى عملية حرق الكتب في برلين مارس 1934 تحت رئاسة هنريش مان وأندريه جيد ورومان رولان وليون فوتشعرانغر

[43]- **المرجع نفسه**، ص 295

[44]- **المرجع نفسه**، ص ص 305-309

وهكذا يتورّط العقل في صناعة الشرّ ويعوّل على العقائد في تنفيقها ناهجا في معالجة المسائل طرائق الرفض والإقصاء. وهي طرائق غير عقلية قد توهم في البدء بحلول المعضلات غير أنّها في الحقيقة تصادر على ما هو خلافيّ وتسعى إلى معالجة ما يبدو خطأ بأخطاء قاسية ومضاعفة.

الخاتمة:

نظرنا في ظاهرة حرق الكتب وإتلافها من جهة ما ينشأ بين العقل والعقيدة من تعارض يعدل فيه المعترض عن حلّ المعضلات القائمة بالمناقشة والحوار فيحتكم إلى النّار ويلجأ إلى معاقبة خصمه بطمس معالمه ومحو هويته وانتزاع وجوده المادّي والفكريّ. فالنّار ها هنا هي الوثوقيّة المطلقة، والأفق المغلق في التفكير، وهي رفض المناقشة والحوار، وإقصاء الآخر فكرا وثقافة وجسدا أحيانا. وهي أيضا خطّة واستراتيجيّة هدم وتدمير ووهم بناء وتعمير. وأكثر صدور هذا الفعل التّدميريّ عن أصحاب العقائد والناطقين باسم الدّين. وفي تكرّر هذا الفعل التّدميريّ ما يؤكّد أنّ بين العقل والعقيدة اختلافا جوهريّا في طريقة التفكير. وهو اختلاف يعالجه العقل بالحوار وتحتكم فيه العقيدة إلى النّار. فكانت أعظم لحظات التاريخ نفعا هي لحظة الالتقاء بالآخر المختلف رأيا وقبوله ومحاورته، وكانت أضعف اللحظات وأوهنها في تاريخ العرب لحظة رفض الآخر فكرا وثقافة.

غير أنّ استعمال عبارات الحرق والإتلاف من شأنه أن يحرّك الأذهان تساؤلا عن حجم الخسران الذي حلّ بالبشريّة وعن الموروث الفكري الهائل الذي ضاع منها. والحقّ أنّ فعل الإتلاف ها هنا ليس في معنى تحقّق القصد من الفعل ولا هو رديف للمحو وطمس الأثر ذلك أنّ معظم الكتب المغضوب عليها قد نجت من النار وهي تُلقى فيها. فالحرق لم يذهب بها إلى النسيان فإذا ما أُحرقت نسخة على الملأ اشتعلت في النفوس رغبة في استطلاع الخفايا ومعرفة الأسرار فإذا الرغبة في المحو وطمس الأثر مفضية في الغالب إلى نتيجة تناقض القصد بل تجعل الأثر المغضوب عليه أكثر استدعاء وحضورا، وإذا النيران للكتاب نعم العون على الحفظ وهي عليه برد وسلام ومعين للكلام على الكلام. وإذا عمليّة الإتلاف استراتيجيّة ناجعة تحيي مئات النسخ من ذلك الكتاب. والكتاب إذا قرئ واستُطلع ما فيه- أمن الاحتراق ولو لم ينفذ إلى الفكر والسّلوك، أمّا الكتب المحروقة فهي التي لم تُقرأ من قبل أو التي لم تُقرأ بعد. وعلى هذا الأساس تحمي القراءة الكتاب من التلف والضياع والاحتراق. وبهذا الاعتبار يصبح فعل الحرق وما يرافقه من طقوس احتفاليّة عمليّةً رمزيّةً القصد منها الاعتراض على ضرب من ضروب الكتابة السائدة ورفض موضوعاتها وطرائق تناولها.

ويتأكّد هذا الرّأي عندما ننظر في (الكتب المغضوب عليها) إذ تذكر كتب الأخبار أنّ القائمين بالفعل المنتمين إلى محاكم التفتيش لم يقرؤوا الكتب التي أعدموها ولم يتجاوزا في أحسن الحالات قراءة العناوين، وقد

فطن الكتّاب والعلماء إلى هذا فصاغ بعضهم العنوان محترسا، من أمثال ابن سينا يشرح المنطق الأرسطيّ - وهو في نظر الخصوم مبحث مرفوض - ويضع له عنوانا كتاب **الشفاء**. وهو عنوان يوهم بأنّه من كتب الطّب والحكمة. وفي المجال الذي انتمى إليه ما يحميه من النار. ومعنى ذلك أنّ الكتب التي تنفع عموم الإنسان في مطلق الزمان والمكان لا يلقي بها الإنسان إلى النيران. وفي ذلك دعوة ضمنيّة - أو صريحة – إلى ألا يصرف العالم أو الكاتب وقته في موضوعات سجاليّة ومماحكات مذهبيّة ومجادلات عقديّة فالمجال في هذا متّسع والإقناع فيه معدوم، بل عليه أن يقصد إلى ما ينفع الإنسان من علوم تفتح له أبواب الصناعات وتُكسبه نافع المهارات. وهو ما يفسّر لنا في الغالب، نجاة كتب الطبّ وكتب الفطن والآداب والحكم، تلك التي يجد فيها الإنسان رفقا وانتفاعا مباشرين. أمّا النّوع الثّانِي من الكتب الذي كثيرا ما كان طعما للنّيران فيتمثّل في ما كُتب ردّا على عقائد الإنسان أو طعنا عليها، أو كتب يذهب فيها صاحبها «مذهب الدّيانة وتعظيم الملّة وينفق فيه إنفاق المجوس على بيت النّار والنّصارى على صلبان الذّهب والهند على سدنة البدَدَة (...) إذ ليس فيها مثل سائر ولا خبر طريف ولا صنعة أدب ولا حكمة غريبة ولا فلسفة ولا مسألة كلاميّة ولا تعريف صناعة ولا استخراج آلة، ولا تعليم فلاحة، ولا تدبير حرب (...) وجلّ ما فيها ذكر النّور والظّلمة، وتناكح الشياطين، وتسافد العفاريت، (...) وإنّما هي هذْر وعيّ وخرافة، وسخرية وتكذُّب، لا ترى فيها موعظة حسنة ولا حديثًا مونقًا ولا تدبير معاش»[45] والأمر في واقعنا لا يختلف كثيرا إذ ثمّة من يستسهل الكتابة ولكنّه لا يوفيها حقّها.

وإصلاح هذا الخلل يقتضي أطروحة عميقة ترسّخ قيم الكتاب في الفكر والسلوك وتجعل القراءة والمطالعة ومواكبة مستجدّ الإصدارات نشاطا مألوفا لدى أمّة (اقرأ) التي يبدو أنّها لا تقرأ وإذا قرأت عسر عليها الفهم. وحسب الباحث أن ينظر في الإحصائيات ليرى حظّ (الأعداء) من قراءة الكتب، ويقارنه بحظّ (الأصدقاء) من عدد الصفحات المقروءة سنويا...

ويظلّ فعل الحرق والإتلاف مكتسبا في كلّ مقام أبعادا ومدلولات مخصوصة. ولعلّ الظّاهرة اليوم، أبلغ دلالة وأخصب وظائف في ظلّ ما تشهده البلدان العربيّة من جديد الأوضاع وما رافق تحرّكها الاجتماعي والسياسيّ من إتلاف للأرشيف وإحراق للمكتبات وإقصاء جسديّ لحاملي الأخبار والمؤتمنين على الأسرار. وفي المقابل صاحب هذا الحراكَ انتشارٌ لأنواع من الكتب حاملة معارف لم يكن يُسمح لها بالطّباعة والسّحب فضلا عن التّداول والانتشار. إنّها كتب العقائد الجديدة تسعى إلى هدم صروح العقل وتنشر ثقافة الموت وعذاب القبر على نحو يوهم قليل الفطنة بأنّها المعرفة تعيد النّظر في ذاتها وتستصفي ما به تكون وتتأسّس من جديد،

[45]- الجاحظ، **الحيوان**، ج 1، ص 51

غير أنّها في الحقيقة طريقة لتقويض الأسس ورمز من رموز النّار وضرب جديد من الحرق والإتلاف. وهذا أمر تستبعده طبيعة الإنسان المحبّ للحكمة والحياة.

المصادر:

- ناصر الحزيمي، **إحراق الكتب في التّراث العربيّ**، مسرد تاريخي، منشورات الجمل كولونيا ألمانيا، الطبعة الأولى، 2003
- لوسيان بولاسترون، **كتب تحترق تاريخ تدمير المكتبات**، نقله إلى اللّغة العربيّة هاشم صالح ومحمد مخلوف بمراجعة عبد الودود العمراني، وصدر عن وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، قسم الترجمة، إدارة البحوث والدّراسات الثقافيّة، الطبعة العربيّة الأولى 2010 في نشر وتوزيع لدار محمد علي للنشر، صفاقس تونس.

المراجع:

- عبدالله البهلول، محو الكتابة وكتابة الممحو، قراءة في حادثة إحراق التوحيدي كتبه، ضمن **مجلة علامات**، مكناس المغرب، ع 29 سنة 2008، ص ص 78-89
- الجاحظ، كتاب **الحيوان**، ج1، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، 1996، ص 68 ص 72
- حسن إبراهيم حسن، **تاريخ عمرو بن العاص**، مكتبة مدبولي 1997، سلسلة صفحات من تاريخ مصر، ع 34
- سعد بن عبد الله الضبيعان، **مكتبتا الإسكندرية وبرجاموم أشهر مكتبات الحقبة الهيلينستية**، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1420هـ/ 2000م
- محمد عبد المنعم عامر، **الإسكندرية: المكتبة والأكاديمية في العالم القديم**، القاهرة، المكتبة الأكاديمية، 2000، ص 9 الفصل الخامس عشر، ص 115 – 161 (من الذي أحرق مكتبة الإسكندرية؟)

MominounWithoutBorders

@ Mominoun_sm

Mominoun

الرباط – المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هاتـف : 50 04 73 37 5 212+

فاكس : 08 04 73 37 5 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com